

# بحث في الأصل الأول: معرفة الملة الحنيفية وإخلاص الدين لله تعالى

صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. في هذا الصباح إن شاء الله نتكلم على الأصل الأول من الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها. فأولاً: معرفة الحنيفية؛ الملة الحنيفية ملة إبراهيم هي أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين. جعلنا الله تعالى من الحنفاء المستقيمين، المتبعين لهذه الملة الحنيفية، وقد وصف الله تعالى إبراهيم بذلك، قال تعالى: { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أَمَّةً فَانِّي لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِأَنْعُمَّهُ أَجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } فكرر حنيفاً في هذه الآيات مرتين. وقد أمر الله تعالى بها العباد مطلقاً، فقال تعالى: { وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُحْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ } . فإذا قيل: ما المراد بالحنيف؟ متى يكون الإنسان حنيفاً؟ يقولون: الحنيف هو المُفْقِلُ على الله، المائل عَمَّا سواه. الإقبال على الله بالقلب بالنسبة، والصدود عن غيره من المخلوقات. وبُعْرَفُه ببعضهم الحنيف: المائل عن الشرك قصداً إلى التوحيد. الحنفي هو الميل؛ فالحنيف هو المُفْقِلُ على الله المعرض عن كل ما سواه من المخلوقات. فهكذا أُمِرْتَ: { وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُحْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ } أن تعبدوا ربكم عبادة كاملة { مُحْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ } ؛ وذلك لأن هذه هي وظيفة الإنسان، إذا قيل: ما وظيفتك في هذه الحياة؟ ليس وظيفتك وظيفة الدنيا، بل الأصل أن وظيفة كل إنسان هي العبادة التي خلق الله لها الخلق، قال الله تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَنَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ } هكذا أخبر بأنه خلق الجن والإنس لهذه الوظيفة، وهي عبادته. ومعنى ذلك أن يُخلصُوا له العبادة؛ فإن العبادة لا تُسمى عبادة إلا مع التوحيد، ومع الإخلاص، فَمَنْ عَبَدَ الله وَعَبَدَ غيره؛ لم يكن من المخلصين؛ الله تعالى لا يرضى أن يُشتركَ معه في عبادته أحد لا ملك مقرب، ولا نبي مرسلاً، فضلاً عن غيرهما.